المولد النبوي الشريف

(مسرحية)

محمد الصالح رمضان

المولد النبوي الشريف

مسرحية

دار الحضارة

الطبعة الأولى

2007

ص ب 04 (A) بئر التوتة -الجزائر 16045

هاتف/فاكس: 46. 70. 41. (021)

البريد الإلكتروني: kheddoucir@yahoo.com

ردمك: 7- 62-767-9961-978

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

والمراد بالبدعة هنا ما ابتُدع في الدين ولم يثبت عن سيد المرسلين. فليس لأحد أن يشرِّع في الدين ما ليس فيه بالزيادة او النقصان، لقوله تعالى:

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا".

فالمُشرِّع هو الله وحده، والمبلِّغ عنه هو رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، وهو الشارح والمفسر للدين بأقواله وأفعاله وتصرفاته وتقريراته.

فهو إمامنا وقدوتنا نأتمُّ به ونستنُّ بسنته قال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر". هذا في كل ما يتعلق بالدين. أما المحدثات والمخترعات فيما سوى ذلك، فهو المطلوب المرغوب فيه، فكل ابتداع واختراع فيما فيه نفع وفائدة ، فذلك الذي يتنافس فيه المتنافسون ويتبارى فيه المتبارون، والسابقون السابقون أولئك الفائزون المقربون من شعوبهم ومن أولياء أمورهم، وكل المنتفعين بإنجازاتهم (من سنَّ سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها) الحديث.

والاحتفال بالمولد النبوي وما يتعلق به هو من هذا القبيل، فهو بدعة مخترعة إذ لم يكن معروفا في صدر الأمة الإسلامية من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ونحن نعتبره من البدع الحسنة في الحياة الاجتماعية والتربية القومية والدينية يجب أن نهتم به كما نهتم بالسيرة النبوية.

استنادا لقول عمر بن الخطاب (رض) في الاجتماع لصلاة التراويح في رمضان حيث قال:

"نِعْمَت البِدْعة هذه" إذ لم تكن التراويح تصلى جماعة في حياة النبي(ص)، ومع ذلك استحسنها عمر وتابعه الصحابة والتابعون فصاروا يصلونها جماعة إلى يومنا هذا. واعتبروها سنة حسنة.

واعتمادا على حديث أنس(رض):

فقد كان لأهل المدينة في الجاهلية يومان في السّنة يلعبون فيهما ويمرحون، فلما قدم رسول الله(ص)المدينة ورأى أهلها يحتفلون بهما ويفرحون قال:

"كان لكم يومان تلعبون فيهما ، قد أبدلكم الله بهما خيرا ، يوم الفطر ويوم النحر" الأول عيد فرح وسرور بالفطر بعد الصيام شهر رمضان، وهو ركن من أركان الإسلام، والثاني عيد الأضحى يأتي بعد أداء الركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج، فيفرح الناس فيه ويذبحون ويوسعون على أهاليهم، ويحيون سنة أبيهم إبراهيم عليه السلام.

والاحتفال بالمولد النبوي بكل أنواع الإبداع العلمي والفني والأدبي من بحوث ودراسات ومن إنشاء قصائد وقصص وأغاني وروايات وأناشيد وغير ذلك مما لا يتعارض ويتنافى والتعاليم الإسلامية، ويشيد بسيد الخلق وينوه به وبسجاياه العطرة، كما يفعل كتاب السيرة النبوية.

ويصرف المسلمين ولا سيما الصبيان عن الاحتفال بالأعياد المعظمة في الأديان الأخرى كما رأينا ذلك في أعياد النصارى التي يحضرها المسلمون وأولادهم ويهتمون بها في دورهم كعيد الميلاد المسيحي، ورأس السنة الميلادية. حتى لا ينشأ أطفالنا على تعظيم تلك الأديان وأهلها وأعيادها وما يجري فيها.

وكان ذلك مما عمت به البلوى عندنا في العهد الاستعماري وما تزال بقاياه لسوء الحظ، فكنا وما نزال نرى كثيرا من العائلات في كبريات المدن تحتفل بأعياد النصارى مع أبنائهم في بيوتهم، ونرى التجار يتنافسون في عرض بضائع تلك الأعياد في واجهات محلاتهم، وإذا سألتهم لماذا تهتمون بشجرة الميلاد وهدايا بابا نوال مثلا قالوا لنفرح الأطفال فقط، فهذه أعياد الطفولة. وقد لا يشعرون أنهم بذلك يغرسون في أبنائهم تعظيم تلك الأديان وأهلها وما يكون فيها ثم هم ساهون غافلون عن ميلاد نبيهم، وعن مواسم وأعياد دينهم وقومهم ألا ساء ماهم فيه من تيه وظلال؟.

المؤلف

مشخصات

الرواية: ذات ثلاثة فصول و12 مشهدا.

زمانها: عام الفيل (المولد النبوي الشريف) الموافق لسنة570 ميلادي ونحو سنة قبله وسنة بعده تقريبا

مكانها: بطحاء مكة، وبادية بني سعد (بين مكة وجدة)، وقصر غُمدان بصنعاء في اليمن

أشخاصها: كثيرون أبرزهم: عبد المطلب وبعض بنيه وقومه، وكهان ورهبان وربيون وأحناف من العرب وغيرهم. ثم حليمة السعدية وأبوها وزوجها. وملك اليمن: سيف بن ذي يزن وحاشيته.

الفصل الأول

التنبؤات والتكهنات

المشـهـد الأول

أحبار اليهود في مكة

(أحبار اليهود في مكة جاءوا كتجار بنية الفتك بعبد الله والد النبي المنتظر، بينما هم في مجلس خاص في السوق يدخل عليهم شيخ جليل وولد نبيل يسألهم ويستفتيهم).

عبد المطلب:

- عمتم صباحا ولقيتم رباحا، أنا عبد المطلب بن هاشم رئيس أهل هذا الحرم، وهذا ولدي عبد اللّه ريحانة قريش، جئناكم لّما سمعنا بكم لنخبركم برؤيا رآها ولدي هذا هالته وأفزعته علّنا نجد لها تأويلا عندكم نطمئن إليه.

الأحبار:

- أهلا وسهلا بسيد قريش وزعيمها يسعدنا التعرف عليكم ومساعدتكم، أقصص علينا رؤياه عسانا نجد لها تأويلا يريحه ويريحكم. وأنا رئيس هؤلاء الأحبار: الحبر (هَيُّوبا)

عبد المطلب:

- أقصص عليهم رؤياك يا ولدي فهم علماء ربَّيون عارفون

باللآّهوتيات والمغيبات.

عبد الله :

- رأيت فيما يرى النائم، وأنا في الحلم قائم، سيوفا مجردة.

في أيدي قردة، تلوح بها في وجهي، وتشير إليّ مهددة متوعدة، فعلوت بعيدا عنها في الهواء، وبينما أنا كذلك، إذ بنار نزلت من السماء، فزادتني خوفًا واحترت في أمري، وقلت كيف الخلاص منها ومن هذه القردة؟ وبينما أنا في حيرتي إذ بالنار تنزل على القردة وتحرقها عن آخرها، فازددت رعبا وفزعا أن تشملني، ثم انتبهت واستيقظت فزِعا مرعوبا.

عبد المطلب :

- وقاك اللّه يا بني مما تحاذر من الحساد والأضداد، وآمنك اللّه من كل سوء، وأنتم يا أحبار يهود أهل علم ومعرفة، ولكم دراية بالغيبيات والإلهيات، فبم تفسرون هذه الرؤيا؟
وكيف تؤولونها لنا؟

الرئيس هيوبا :

- أيها السيد الكريم، وأنت أيها الولد الوسيم، اطمئنا ولا تخافا، هذه أضغاث أحلام، كثيرا ما يرى الناس مثلها ثم لا يكون لها أي تأثير في الغالب، ورؤياكم هذه لا أرى فيها من بأس عليكم، خاصة وقد قلتم إن النار أحرقت السيوف وحامليها، فما عليكم من باس أيها الناس، فأنتم الأسياد، ليس لكم معائد ولا مضاد، فلا تخافوا ولا تحزنوا.

(يخرج عبد المطلب وابنه شاكرين ويقوم لهم الأحبار مودعين مهنئين ثم يعودون للتحاور فيما بينهم).

الأحبار:

الأول:

- صدقت أيها الرئيس ما عليهم من بأس ولكن البأس علينا نحن الذين جئنا نهددهم ونتوعَّدهم!

الثاني:

- هذه الرؤيا - إن صدقت ولا أخالها إلا صادقة- ستكون وبالا علينا نحن بالذات وعلى اليهود عموما إن نحن قمنا بما عزمنا.

الثالث:

- نعم، ألا ترون أنَّها تعنينا وتُشبهُنا بالقردة؟ ألا تعسًا لنا ولما بيَّتنا وعزمنا، فويل لنا ثم ويل إن نحن عزمنا وصممنا!

الرئيس هيوبا:

- خاب ظنكم، وطاش فألكم، لِما أنتم عليه من الخوف والحذر! لم جئتم إلى مكة إذن؟ أليس للقضاء على هذا الولد الذي سيخرج من صلبه النبي الموعود، الذي سيقضي عليكم وينفيكم أو يفنيكم، لقد جاءكم به أبوه لتعرفوه، فسهَّل عليكم البحث عنه والتعرف عليه: امضوا إلى ما عزمتم وتعاهدتم، فلقتل الأب قبل أن ينجب النبي.

أهون من قتل النبي بعد أن يولد ويوجد، ويصبح معصوما مصونا، لا بد من قتل هذا الغلام، وإن طال بنا المقام، لا تضيعوا هذه الفرصة، فتنقلب عليكم غصَّة، وتندمون بعدها ولات ساعة مندم!

الرابع :

- إنا نخاف من فتيان مكة وأبطال قريش وفرسان بني هاشم، هؤلاء الذين ذلت لهم العمالقة، ودانت لهم العرب، وهابهم الروم والفرس، فكيف لنا بهم؟!

رئيسهم هيوبا :

- تبا لكم ولما تهابون، ألم تعاهدوني على المضي على تنفيذ ما اتفقنا عليه.

الأول :

- هذا الحلم أزعجنا وثبَّط عزائمنا، وإنه لينطبق علينا حقا وصدقا، ليتنا لم نسمعه حتى نقضي أمرنا.

الثاني :

- أنا متشائم من هذه الرؤيا، نعم كنا عاهدناك حقا قبل أن نسمع هذه الرؤيا المشؤومة، أما الآن - وقد سمعناها جميعا وفهمناها- فلا أرى التمادي فيما اتفقنا عليه.

الثالث:

- نسأل كبيرنا المتقدم علينا في السن وفي العلم، وهو حكيمنا المشهود له بالرأي السديد والسعي المفيد، ما رأيك يا إمامنا؟

كبيرهم:

- من أراد إبطال ما أراده الله، فهو جاهل مغرور، وإن هذا النبي الذي ذكرتموه قد سبق في قضاء الله وقدره، وإنه لكائن شئتم أم أبيتم، فكيف تقدرون على إبطاله؟! يا قوم إذا أراد الله شيئا فلا رادَّ لقضائه، دعوا عنكم هذا الذي أتيتم من أجله وعودوا من حيث جئتم، وإني لكم لناصح أمين.

رئيسهم:

- هذا الحبر على جلالة قدره، قد كبر وخرف، ضعف عقله، وطاش فأله، ولم يعد قادرا على شيء لا تسمعوا لكلامه ولا تلتفتوا إليه، ولست أدري لماذا جاء معنا؟ هو يحمل هذا التَّثبيط والتغليط؟ لا بد من قتل الغلام الذي سيأتي منه النبي الموعود، الذي عرفتموه في الكتب المنزلة، احزموا أمركم ودعوا عنكم المهزلة، لقد آن آوان ميلاد النبي منه، ولقتل الأب أهون علينا من قتل النبي، لاتضيعوا الفرصة: فتصير لكم غصة، أرأيتم الشجرة إذا اجتثت من أصلها وقطعت هل تعود إليها الخضرة والحياة فتزهر وتثمر؟!.

الرابع :

- لا ، لا يمكن! نعم قتل الأب يمنع مجئ النبي.

الحبر الكبير :

- جئت معكم أيها الرئيس التعيس لأرشدكم إلى ما ينفعكم، ولأقيل عثرتكم، ولكن لا رأي لمن لا يطاع، ولا صولة لمن ليس له باع، وإني أرى أن الرشد فيكم قد ضاع، أيها الرعاع!

أحد الجماعة :

- أنت رئيسنا وعمادنا في هذا الأمر يا هيوبا نطيعك ولا نعصي لك أمرا ، سربنا ونحن معك لا نتخلف عنك.

الأول :

- يا هذا من خوَّل لك الكلام باسمنا؟ تكلم عن نفسك ولا تقحمنا معك، اذهب أنت وصاحبك فقاتلا.

الثاني :

- ياجماعة يا جماعة ، ألم نتعاهد لرئيسنا بالطاعة؟!

الثالث :

- نعم ولكن قبل أن نسمع هذه الرؤيا التي أنذرتنا وحذرتنا.

الرئيس هيوبا :

- كُفُّوا النزاع يا رعاع! وشدوا أزركم. واحزموا أمركم،

فاليوم أمر، وغدا خمر، فإنكم إن قتلتم هذا الغلام الذي سيخرج من صلبه النبي الذي يفشي الظلام باسم السلام - استرحتم واطمأننتُم على أنفسكم وعلى قومكم وأهليكم، وعلى دينكم وبلدكم وأموالكم دبروا الحيلة في قتله، وأنا معكم بسيفي ورمحي وفي مقدمتكم لا أتأخر عنكم، فقد عاهدتموني لمّا وليّتموني أمركم هذا، فلا تغدروا بي ولا تخذلوني.

الرابع :

- اذهب أنت وسيفك فقاتلا، إنا راجعون. اللهم اشهد أنا تائبون.

(وساد الهرج والمرج، وكأنهم اتفقوا على أن لا يتفقوا وراحوا يتلاومون).

[ستار]

المشهد الثاني

الكهان العرب: سطيح وزرقاء اليمامة.

(سطيح : ربيعة بن مازن بن غسان الكاهن المعروف ، جالس في ظل الكعبة ، يلتف حوله جمع من القريشيين يستمعون إليه ، فيهم أبو جهل وأخوه البحتري وشيبة بن ربيعة والعاص بن وائل وعقبة بن معيط وعتبة بن ربيعة) .

سطيح :

- إني أرى أمرا عظيما ، وخطبا جسيما ، قد غاب عني خبره، وخفي عليّ أمره، فبعثت إلى إخوان لي من الكهان، وإلى نصارى نجران رسائل أسألهم فيها عما حدث ويحدث في هذا الزمان، كتبت إلى (شق) بن باهلة اليماني، وزرقاء اليمامة،وغيرهما ممن لهم إلمام واهتمام بكتب الأولين، وأخبار الأنبياء والمرسلين.

أحد الحاضرين :

- ما سبب حيرتك أيها الكاهن العظيم؟

سطيح :

- رأيت فيما يرى النائم أن برقة تلي مكة ، قد ملأت الأقطار بشعاعها ،

ثم رأيت الكواكب قد علت منها النيران، وظهر بها دخان، وكانت تلك النيران واحدة بعد واحدة، حتى غابت في الأرض، فاحترت ودهشت وفي ليلة أخرى رأيت حلما آخر أفزعني لا يقل عن الأول هولا وفزعا.

- ماذا رأيت؟ أخبرنا بارك الله عليك؟

سطيح :

- يا ويلكم! رأيت أنوارا نزلت من السماء إلى الأرض، ورأيت الكواكب تتساقط وتتهافت، وإني أظن أن خروج الهاشمي القرشي قد دنا، فإن كان الأمر كذلك، فالسلام على الوطن من أهل الأمصار واليمن، إلى آخر الزمن.

الحاضرون :

- وهل أجابك أحد ممن كاتبتهم؟ وما يرى في حلمك؟

سطيح :

- أتاني جواب من (شق) بن باهلة اليماني يقول فيه: قد ظهر عندي بعض الذي ذكرت، وسيظهر نور الذي وصفت، غير أني لا علم لي فيه، ولا أعرف شيئا من دواعيه، وجاءني كتاب من زرقاء اليمامة هذا نصه: يخرج لفافة ويقرأ ما فيها:

- من زرقاء اليمامة إلى سيد غسان وأفضل الكهان المعروف سطيح، صاحب القول الفصيح، أما بعد فإنه ورد كتابك إليّ، وقدم رسولك لديّ، تذكر أمرا عظيما قد هجن بقلبك واختلج بلبك،

أما نزول الكواكب فكأنك بآيات الهاشمي قد قربت، فإذا قرأت كتابي فأيقظ نفسك واحذر الغفلة والتهتير، وبادر في الحين بالمسير ، لنلتقي بمكة، فإني راحلة إليها، لأعرف هذا الأمر على حقيقته، لعلنا نتعاون على هذا المولود الموعود، فنعمل فيه الحيلة عسى أن نظفر بهلاكه، ونُخمد نوره قبل إشراقه، والسلام".

ثم يطوي الكتاب ويقول:

- لهذا جئت مسرعا وأنا في انتظار مجيئها، وقلت لقومي مودِّعا لهم: إني سائر إلى نار تأججتْ، فإن أدركت إخمادها رجعت إليكم، وإن كانت الأخرى فالسلام مني عليكم، فأني لا حق بالشام أقيم بها حتى أموت فيها:

إذا كان حقا خروج الهاشمي دنا

فارحل بنفسك لا تبكي على اليمن

ثم اجعل القفر أوطانا تُقيم بها

وارحل عن الأهل ثم الدار والوطن

فالعيش في مهمة من غير فائدة

أهنا من العيش في ذلٍّ وفي حزن

بعض الحاضرين:

- يا سطيح هذا خبر قبيح! ألك حاجة فتُقضى؟ أو أمر فيُمضَى؟

سطيح:

- بورك فيكم، مالي حاجة لديكم.

أحدهم :

- تمضي معنا إلى منازلنا لنقوم بحق الضيافة.

سطيح :

- بل أنزل عند من إليهم قصدت، ونحوهم أردت، وبفنائهم أنخت، وقد علمتم فضلي، وقد جئتكم أحدِّثكم بما كان وبما يكون، إلهاما ألهمني الله بالصواب: وأنطقني بالجواب، فأين المتقدمون منكم في العهد، ومن لهم السابقة في الحمد والمجد؟

أبو جهل :

- ها نحن أمامك، وكلنا قدامك وخدامك.

سطيح :

- أخبروني من أنتم؟ اذكروا لي أسماءكم؟.

أبو جهل :

- أنا عبد الحكم بن هشام، وهذا أخي البحتري، وهؤلاء: العاص بن وائل، وعقبة بن معيط، وعتبة بن ربيعة، وأفراد من بني أسد وبني زهرة وبني مخزوم وبني عبد الدار، وأرسلنا من يخبر بمجيئك فهم آتون متلاحقون.

سطيح :

- أريد أفاضل قريش من بني عبد مناف وبني هاشم بالخصوص، فأنالهم المبشر بالبشير النذير، والقمر المنير، وقد قرب ما ذكرته،

فأين عبد المطلب وسلالته؟

أبو جهل :

- تبّا لك! ألهذا جئت إذن؟! يا أعمى البصر والبصيرة.

(ويقوم أبوجهل غاضبا منتفضا يذكر سطيح بكل قبيح ويخرج ، فيتبعه أتباعه ، بينما يبقى آخرون ويتلاحق أفراد من بني عبد مناف يتقدمهم أبو طالب وإخوته)

أبو طالب :

- عموا صباحا ، حييت بالكرامة يا من قدم من اليمامة ، وخلّدت في النعمة ، يامن ينطق بالحكمة ، أتيناك لمّا سمعنا مجيئك يا أشهر الكهان ، في هذا الزمان ، والواجب يقضي علينا إكرامك وإطعامك.

سطيح :

- حييتم بالسلام ، وأتحفتم بالإنعام ، فمن أيِّ العرب أنتم؟ وأما أسماؤكم؟

أبو طالب : (يضلله في التعريف بجماعته)

- نحن من بني جُمَح وهؤلاء إخوتي.

سطيح :

- ادن مني أيها السيد الوقور.

(يدنو منه ويضع سطيح يده على وجهه يتفحصه ويتأمله)

أنت صاحب الذمم الرفيعة، والأخلاق المرضية، فلم تتستر عني؟! إنكم لأشرف البرية. وإن لك ولإخوتك أشرف الذرّيّة، وإنك ومن أتى معك لمن سلالة هاشم الأخيار، فلا تكتموا عني خبركم، فإني عارف بحسبكم ونسبكم.

(يتعجب الجميع من صدق فراسته)

أبو طالب:

- يا شيخ سطيح، صدقت المقال، وأحسنت الخصال نحن نعرف مدى علمك وصدق كهانتك وفراستك، وقد كنت قدمت على أبينا عبد المطلب قديما، وأخبرته بمولد يخرج من ظهره، مبارك في عمره، ونريد أن تخبرنا اليوم بما يكون في زماننا، وما يجري علينا؟

سطيح:

- والدائم الأبد، الواحد الأحد، الفرد الصمد، رافع السماء بلا عمد، ليبعثن منكم نبي يهدي إلى الرشد، يدمِّر كلَّ صنم ويهلك من له عبد. لا يرفع سيفه على أحد. هذا ما قرأته في كتب الأولين، ورأيته في حلمي مرتين. وأدركته في علمي مما تواطأ عليه الكهان والحنفاء من السابقين واللاّحقين، وكل تلك الأخبار والتكهنات تدل على أنه سيظهر نبي في البيت الهاشمي:

سيكون له من الشأن ما يرفع من مكانة العرب وستتحدث الدنيا بأخباره، وينقاد العالم إلى أمره، وأن أبناء هاشم سيقودون العرب بعدل وحكمة ورحمة.

أبو طالب :

- هلُمَّ بنا إلى منازلنا لنقوم بما علينا نحوك أيها الكاهن.

سطيح :

- مهلا على رسلك في انتظار مجيء زرقاء اليمامة.

(نفس المشهد في بطاح مكة، القوم في هرج ومرج مما سمعوا من الكاهن وما رأوا من أبي جهل وأتباعه، وأبي طالب وإخوانه، ثم يلوح لهم سواد من بعيد مقبل على راحلة، فيتوجهون إليه ينظرون من هو؟ ثم ينادي مناد منهم) :

عمر وبن عامر :

- يا أهل مكة وأشراف قريش، أتتكم الداهية الدهياء، والطامة العلياء، الكاهنة الزرقاء كاهنة اليمامة.

(يهدأ الهرج ويترقبونها، ولما دنت منهم ودخلت أوساطهم، صاحت تنادي بأعلى صوتها وهي راكبة)

الكاهنة :

- يا رجال قريش حييتم بالإكثار، وعمرت بكم الديار، فارقت أهلي وأوطاني، وجئت إليكم لأخبركم عن أشياء قد دنت وقرب أوانها، سيظهر في دياركم عن قريب العجب العجيب، فإن أذنتم لي بالنزول نزلت وأخبرت، وإن أردتم الرحيل رحلت وسكت.

القوم :

- أنزلي على الرحب والسعة، وتكلمي وأخبري بما شئت.

الكاهنة :

إني لأعلم ما يأتي من العجب

بأرضكم هذه يا معشر العرب

لقد دنا وقت مبعوث لأمته

محمد المصطفى المنعوت في الكتب

فعن قليل سيأتي وقت مولده

يرمي معانده بالذل و الحرب

يدعو إلى دين غير اللاّت مجتهدا

ولا يقول بأصنام و لا نصب

وقد أتيت لأنبيكم ببيِّنة

مما رأيت من الأنوار و الشهب

عما قليل ترى النيــران مضـرمــة

ببطن مكة يـرمي الجمـر باللهــب

فإن أذنتــم وإلاَّ رحـــت راجعـــة

وتنـدمون إذا مــا جــاء بالعطـــب

القـوم:

- تفضلي بالجلوس وتكلمي وأخبري بما تريدين.

عتبـة:

- ما الذي راع سيـدة اليمامـة؟! هل لك من حاجـة فتقضى، أو ملمة فتمضى؟.

الكاهنة:

- لـست ذات فقـر وإقـلال، ومـا أنـا محتاجـة إلى الرفـد والمـال، بـل جئتكم ببشارة أبشركم، وبتحذير أحذركم، وليست البشارة لـي بـل هـي عليَّ وعليكـم.

عتبـة:

- مـا هـذا الكـلام يـا زرقـاء؟ أراك توعـدين نفسك وإيانـا بـالبوار والدمار؟!.

الزرقاء:

- يـا أبـا الوليـد ليخـرجن مـن هـذا الـوادي نـبي يـدعو إلى الرشـاد، وينهــى عــن الفــساد، وكــأني بــه عــن قريــب يولــد!...آه! ثــم آه!

من يوم سألقاهُ، وستكون لي معه قصة عجيبة ومصيبة.

عمرو بن عامر :

- ما دام يدعو إلى الرشاد، وينهى عن الفساد، فلماذا النكاد؟!

الزرقاء :

- سيقضي على عوائدنا وآلهتنا، أو ترى هذا سهلا ميسوار؟ كيف سيلقاه الناس؟ وكيف يقبلونه؟ ستراق الدماء وتزهق النفوس، وتقلب الأوضاع رأسا على عقب، ويختلط الحابل بالنابل، ويتقاتل الإخوة والأقارب!.

ذوي القبائل والسادات ويحكم

إني أقول مقالا كالجلاميد

لو كنت من هاشم أوعبد مطّلب

أوعبد شمس ذوي الفخر الصناديد

أومن لؤي سراة الناس كلهم

ذوي السماحة والأفضال والجود

أومن بني نوفل أو من بني أسد

أومن بني زهرة الغُرِّ الأماجيد

لكنت أوَّل من يحظى بصاحبكم

إذا جرى ماؤه في يابس العود

لكن أرى أجلي قد حـــان موعــده

لـمــا دنـا مـولـد خير الـمــوالـــيــد

عمر بن عامر :

- هل تخبر زرقاء اليمامة بما أخبر به سطيح؟

الزرقاء :

- نعم! وهيهات هيهات! ولا جزع مما هوات، ياقوم ولا لوم، وخالق الشمس والقمر، ومن إليه مصير البشر، لقد صدقكم سطيح الخبر! دلُّوني على أبي طالب وعلى الكاهن سطيح فإن لي حديثا معهما

(يخرج مع من يوصلها إليهما)

[ستار]

المشهد الثالث

الحنفاء العرب وبعض أهل الكتاب:

(أبو طالب مع جمع من الحنفاء وأهل الكتاب يتدارسون أنباء النبي العربي الموعود ، من بين الحاضرين : أبو طالب وورقة بن نوفل وكعب الأحبار وقس بن ساعدة وكعب بن لؤي وعبد الله بن سلام وابن صوربا اليهودي وزيد بن عمرو بن نُفيل وعثمان بن الحويرث) .

أبو طالب :

- أيها الجمع الكريم الموقَّر، جمعتكم اليوم ،وأنتم أهل العلم والدين والمعرفة، وأصحاب الرأي والمشورة مع بعض من أهل الكتاب، لما بلغنا هذه الأيام من تنبؤات وتكهنات ورؤى مختلفة حول نبي عربي سيظهر قريبا في ربوعنا، يقلب الأوضاع، في هذه البقاع، وينتشر خبَرَهُ ليعم سائر الأصقاع، لنرى ما عندكم وما تشيروا به علينا نحن أهل حرم اللّه وسدنة بيته المعظم؟ وقد جاء الكاهن سطيح وذكر رؤياه في الحرم على العامة والخاصة، وتبعته زرقاء اليمامة فأيدته وزادت عليه، فتبلبلت الأفكار واضطربت الآراء، وانقسم الناس إلى متفائل ومتشائم، وإلى مصدق ومكذب: ومناصر ومناوئ، فتحزَّب من تحزَّب،

وتعصَّب من تعصَّب، وغضب من غضب، وإني أرى مثل هذه الأمورلا تليق بالعامة والدهماء، وهي أولى بأمثالكم من العلماء والحكماء، فما رأيكم دام فضلكم؟ أفيدونا بما عندكم.

(يرفع ورقة بن نوفل يده)

- تكلم يا ورقة.

ورقة بن نوفل:

- هو ذاك يا أبا طالب، إن موضوع النبي الموعود الذي سيظهر في العرب موضوع قديم وحديث، ورد ذكره في الكتب السماوية والصحف الإلهية، ولمّا دنا وقته بدأت الرؤى المختلفة والتكهنات والآراء المتباينة والمؤتلفة، وأرى أن نسأل أهل الكتاب أولا من أحبار اليهود ورهبان النصارى في هذا النبي العربي، فما رأيك يا كعب الأحبار؟

كعب الأحبار:

- قرأت اثنين وسبعين كتابا نزلت كلها من السماء، من صحف إبراهيم وموسى وعيسى وداوود، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، وقرأت صحف دنيانا كلها، فوجدت في جميعها ذكر هذا النبي العربي المنتظر مختصرا ومبسطا، وأن اسمه وصفَته ووقته وبلده معروف فيها، واسألوا أهل العلم من اليهود والنصارى الموثوقين المنصفين، واسألوا من العرب الحنفاء الحكماء المتعبدين، وهذا قس بن ساعدة الإيادي

حكيم العرب وخطيبها معنا ما يزال على بقية من الحنيفية الأولى ديانة أبينا إبراهيم أبي الأنبياء والمرسلين، وهو على علم بما في التوراة والانجيل نسأله هل هذا المنتظر نبي حقا؟ يجب اتباعه؟

قس بن ساعدة :

- إي نعم! وربِّ البيت، وويل لمن خالفه، وهنيئا لمن حالفه، وويل لمن صدف عن حقه الأشهر، وكذَّب بيوم المحشر، والسراج الأزهر، في يوم الفصل، والميزان العدل، ياليتني مدركه، ولو بعد لأي من عمري ومحياي، سوف تنعم الناس من هذه الرحمة برجل أبلج من ولد لؤي بن غالب، يقال له محمد، يدعو إلى كلمة الإخلاص، وما أظن أني مدركه، ولو أدركت أيامه لصفَّقت بيدي على يده، ولسعيت معه حيث يسعى.

أبو طالب :

- نريد أن نسمع من الكبار المسنين المعروفين بالعلم والحلم، فكما سمعنا من قس بن ساعدة نريد أن نسمع من كعب بن لؤي ابن غالب الشيخ الجليل النبيل لنستفيد من حكمته وخبرته، فقد كان ممن يذكرون هذا النبي ويبشرون به خطبه ومجالسه.

كعب بن لؤي :

- عليكم حرمكم زيِّنوه وعظِّموه وتمسكوا به، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم. (ثم أنشأ يقول)

على غفلة يأتي النبـي محمـد

فيخبر أخبارا صدوقـا خبيـرهـا

وقد كـان أوس بن حارثـة قبلنـا بثلاثـة قـرون يبـشر النـاس بخـروج النبي العربي، ويوصي أهله وأتباعه، بأن يؤمن به من يلحقه، وكـان يقول لهم في شعره:

إذا بُعث المبعوث من آل غالـــب

بمكـة فيمـا بين زمـزم والحـجـر

هنالك فاشروا نصره بقـلادكـم

بني عامـر إن السعـادة في النصـر

وقد مات حنيفيا على دين ابراهيم عليه السلام، كما كان قبله من الملوك والرهبان من بشروا بهذا النبي العربي الكريم العظيم.

فهـذا (تُبَّعُ الحمـيري) أحـد الملـوك الخمـسة الكبـار الـذين ملكـوا الـدنيا شـرقها وغربهـا الـذي دوّخ الأرض بفتوحاتـه وانتـصاراته، وكـان ملكـا عادلا مؤمنا بينـه وبـين نفسه قبـل عـصرنا هـذا بـأكثر مـن ألـف سنة، ولكن قومه انغمسوا في غيهم وضـلالهم، حتـى نـزل بهـم عـذاب، وصـاروا عـبرة لأولى الألبـاب، كـان ملكهـم هـذا تبعُ واسمـه الحقيقـي أسعد يبشرهم بقدوم نبي عربي يتوقع أيامه، وينشد أنغامه قائلا:

شهـدت علـى أحـمـــد أنـــــه ❖ رسـول مـن اللّٰه بـارى النسـم

فلو مدَّ عمـري إلـى عمــــره ❖ لكنـت وزيـرا لـه وابـن عـم

وكنت عذابا على المشركين ❖❖ وأسقيهم كأس حتف و غم

وهو أول من لُقب من التبابعة بلقب تُبَّع لكثرة أتباعه ورعاياه، وقد كان إذا كتب كتابا لأحد بدأه هكذا باسم الذي ملك برا وبحرًا.

أما كلام رهبان النصارى وأحبار اليهود، في هذا النبي الموعود، فلا يكاد يحصى، لأن التوراة والإنجيل والزبور بشرت به وذكرته باسمه: (أحمد) تارة ومحمدا تارت أخرى. فلا ريب أن يتكهَّن الكهان ويتعرف العرافون ويتنبأ المنجمون ما شاء لهم التكهن والتعرف والتنبؤ.

أبو طالب :

- شكرا يا ابن لؤي، على نشرك لذلك الطَّي، من عهد ما قبل قُصَي، إلى عهد بني لؤي، وهل لنا أن نطمع أو نتطلع إلى شيء كهذا أو إلى شيء أوفى، من شيخنا الجليل أكتم بن صيفي؟.

أكتم بن صيفي : (يشير برأسه أي نعم)

- لا خير فيمن لا عقل له، كبرت سنى ودخلتني ذلة، فإذا رأيتم مني حسنا فاقبلوه، وإن رأيتم غير ذلك فقوموني أستقم.

وإنَّ القول ممن عاش قرنا

لكالهذيان في الطفل الصغير

ولموعاد الشباب لقمت فيها

مقامات لعنتر أو زهير

يبدو لي أن هذا النبي الموعود، سيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى محاسن الأمور ومكارم الأخلاق، كما يدعو إلى توحيد الملك المدَّيان، وخلع الأوثان، وترك الحلف بالنيران. وإلاّ فما الحكمة من مجيئه إن كان لا يغير ما ساد من فساد؟

وقد عرف أولو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه. إنَّ أحق الناس بمعونته ومساعدته على أمره أنتم يا أبناء جلدته، فإن يكن الذي يدعو إليه حقا فهو لكم دون غيركم، وإن يكن باطلا كنت أحق الناس بالكف عنه، وبالسَّتر عليه، وقد كان أسقف نجْران يُحدث بصفته، وكان سليمان بن مجاشع يخبر به من قبل، وسمَّى ابنه محمدا، لمَّا علم أن اسم النبي كذلك. فإذا جاء هذا النبي فكونوا في أمره أوَّلا، ولا تكونوا آخرا، إئتوا إليه طائعين، قبل أن تأتوه كارهين أطيعوني واسمعوا كلامي، فأنى أرى أن أمره لايتجنَّبُه عزيز إلاَّ ذل، ولا يلزمه ذليل إلا عزَّ. واللّه ولي التوفيق.

أبو طالب:

- مرحى مرحى يا شيخ البطحاء، وهل لنا أن نستفيد ونستزيد مما عند زيد بن عمرو بن نفيل المتحنِّف الذي كان يطوف البلدان، ويلقى الأحبار والرهبان، يسألهم عن الدين الحق، دين أبينا إبراهيم أبي الأنبياء والمرسلين، فيدلوه عليه، وكان يقول للعرب ما منكم علي دين إبراهيم غيْرِي.

زيد بن عمرو :

- لم يـترك الأول للآخـر مـا يقـول، وإن كـان ولا بـد مـن القـول فسأوجز وأختصر:

- أنعـم الله لكـم المـساء والـصباح، لقـد شـرفت بكـم المحافـل والبطاح، ووفقتم إذا ظهر فيكم المنعوت في الكتب الصحاح.

ويا ويل من يعاديه ويناوئه، وطوبى لمن يتبعه ويعاونه، يا سكان زمزم والـصَّفا وأبـى قبـيس، إنـي أذكـركم وقائـل لكـم: وحـقَّ إلـه الحـرم، وبـارئ النَّـسم، إنــي لا علـم عمـا قليـل، ليظهـرنَّ المنعـوت في التـوراة والإنجيل، فقـد تـواترت الأخبـار، أنـه يبعـث في هـذه الأعـصار والـديار، رسول الملك الجبّار.

[ستار]

النشيد الأول[1]

وطـن النـبي وعشيـرته

جَادَك الكَوْثَرُإِنْ ضَنَّ السَّحـــاب

يَا رُبـي الأحباب بِالـوَادي الأمِيـــنْ

يَامَجَالَ الوَحْي يَاأرْضَ الكِـتَـابْ

يَا مَنَـارَ الدِّيـن يا نُـــورَ اليَقـيـــنْ

طَالعَتْنَا مِنْ مَغَـانيـــك الـرِّحَـابْ

نَفْحَـــةٌ تُرْوي قُلُوبَ المُؤْمِنـيـــنْ

إِنَّهَا مِن روح ربِّ العَالَمِيـن

وتَجَلَّى البَـرْقُ فِــي أفْــقِ الْحِمَـى

عَنْ مَغَانِي الحَقِّ فِي البَيْت الحَرَامْ

سَـــافِرَات زَاهِـرَات كُـلَّـــمَـــا

لُحْنَ ثَارَ القَلْبُ مِنْ شَـــوْقٍ وَهَـامْ

أيّـــهَـا البَرقُ تَمَـــهَّـل مُنْعِـمًـــا

أدْنِ مِـــنْ عَيْـنَـيَّ أعْـلامَ الـسَّـلامْ

إِنَـها سُـؤلـى وَقَـصْـدي وَالـمَـرَام

---

[1] - النشيد لعبد الله عفيفي.

حَفَّهَا الرحْمَنُ ذو العَرشِ المَجِيدْ

بِنطَاقٍ مِنْ سَنَاهُ المُشْرِق

بُنَيتْ والدَّهرُ في المَهد وليدْ

وتَسَامَتْ عنْ خَيَال المُرْتقى

وأَتى المُخْتَارُ بِالفَضْلِ العَتيد

فَارتقتْ عَنْ مَغْربٍ أوْ مَشرِقٍ

وتَبَدَّتْ مِثْلَ تاجِ المَفْرِقِ

يا دَيَار اللّه يا أرض الِفدَاءْ

مُهجَتي تَفْديك منْ رَيْبِ الزَّمَان

بَسَطَ الرَّحمَنُ من عُلَيا السَّماءْ

تحْتَ رُكنيْكَ رواقًا منْ أمَانْ

أنت لِي في سَاعَةِ الكَرْبِ الرَّجاء

فاسْلَمي والدَّهْرُ مبذُول العِنَانْ

سَوْفَ يَسْعىَ في هُدَاك الخافِقَانْ

الفصـل الثاني

الوليـد السعيـد

المشهد الأول

البشارة بالميلاد

(عبد المطلب في نفر من أصحاب عظماء قريش قرب الكعبة يتذاكرون)

عبد المطلب :

- يا أشراف مكة وعظماء قريش جمعتكم اليوم لأمر هام تحتّمه المروءة ويستوجبه الشرف.

الأول :

- لبيك سيد العرب.

الثاني :

- سعديك يا عبد المطلب.

عبد المطلب :

- أنتم على علم من اعتداء الأحباش الأوباش أصحاب الفيل على هذا البيت العتيق بيت الله المعظّم. وفي ذلك ما فيه من امتهان لكرامتنا وإعلان للعداوة بيننا لغير موجب.

الجميع :

- نعم، نعم، تبًّا لهم وسحقًا.

الثالث :

- وقد خيَّب الله سعيهم وجعل كيدهم في تضليل.

عبد المطلب :

- ذلك شأن الله مع بيته المعظم، فما واجب العرب نحو كرامتهم وشرفهم؟

الثالث :

- أجل، ما كانت العرب لتذِلَّ للفرس ولا للروم فكيف بها مع هؤلاء العبيد المناكيد؟

الرابع :

- ماذا تريد يا سيدنا ورئيسنا؟ فنحن رهن إشارتك.

الأول :

- نحن طوع إرادتك الرشيدة، فمرنا بما تريد.

الثاني :

- نحن أهل الحماية والرعاية، لا ننام على ضيم، ولئن فاجأنا الأحباش على غرّة، ونحن على غير استعداد للحرب سوف لانستسلم لعدوانهم.

عبد المطلب :

- لا أدعوكم إلى حربهم، فقد كفانا أهل اليمن شرهم فانتقموا

لنا منهم، فقد أتاني أن ملك اليمن الهمام سيف بن ذي يزن قد مكنه اللّه منهم بنصر مؤزَّر، فأسلموا له طائعين وانقادوا خاضعين.

الأول:

- مرحى مرحى لملك اليمن.

الثاني:

- مرحى، لسيف بن ذي يزن.

الثالث:

- للّه درَّهُ ودرٌّ جنوده الأنجاد، المغاوير الأمجاد، فقد ثأروا لكرامة العرب جميعا.

الأول:

- لقد أزالوا عنا وعنهم ذلَّ الدهر، وعار الأبَد، من هزيمة العبيد للأحرار الصيد.

عبد المطلب:

- لقد علمنا أن اليمن قامت بما تفرضه عليها الكرامة العربية، فما هو موقفنا نحن إزاء اليمنِيِّين الأبطال، وملكهم الهمام وهو منا ونحن منهم؟.

الأول:

- نعم إن لنا فيهم لنسَبًا وصهْرًا.

الثاني :

- أجل ولنا فيهم عمومة وخؤولة.

الخامس :

- نبعث إليهم برسالة تهنئة وشكر.

الرابع :

- لا أحسب هذا كافيا إزاء عملهم المجيد.

الخامس :

- نرسل إليهم رسولا يبارك لهم نصرهم باسمنا.

عبد المطلب :

- لا أرى أن شيئا من ذلك يتكافأ ونصرهم المجيد وواجبهم العظيم، الذي قاموا به باسم العرب قاطبة.

الرابع :

- نمدُّهم بالهدايا والأموال جزاء ما قاموا به.

الثالث :

- أرى أن نرسل إليهم وفدا من كبراء قريش يؤدي واجب التهنئة لملكهم المعظم، فذلك أجل عندي من الهدايا والأموال، التي أصبحت لاتساوي شيئا أمام ما غنموا من ربح عظيم في انتصارهم الباهر.

عبد المطلب :

- وُفّقتَ وأصبت، هذا هو الرأي، للّه درّك.

الأول :

- هذا الرأي سديد ، لا محيد عنه.

الجميع :

- هذا هو الرأي، هذا هو الرأي.

الثاني :

- ممن يتركب هذا الوفد؟.

الثالث :

- من رؤساء البطون القرشية.

الجميع :

- نعم الرأي نعم ، نعم.هو ذاك.

الأول :

- من يرأس الوفد؟.

الثالث :

- لا يرأس أشراف مكة إلا رئيسها عبد المطلب.

الخامس :

- نعم إن كبراء قريش لا تتفق على غيره في مثل هذه الأمور العظيمة.

عبد المطلب :

- أما أنا فقد كبرت وتقدمت بي السِّن والسفر إلى اليمن شاق متعب، فلم أعد أطيق السفر البعيد ، أرجوكم أعفوني.

الجميع :

- لا نرضى بديلا عنك وسنريحك ونخدمك.

(يدخل طفل يجري ويصيح) .

الطفل :

- أبشر يا سيد العرب! أبشر يا عبد المطلب!.

عبد المطلب :

- ماذا؟ ماوراءك؟.

الطفل :

- أبشر فقد جاءت آمنة بولد لا كالأولاد جمالا وجلالا.

عبد المطلب :

- ولد! ذكر! متى؟.

الطفل :

- إي ورب البيت، لقد جاءت بولد شاهدته بعينيّ ومعه نورُ أضاء ما حولنا ، وإنه لولد لا كالأولاد حُسْنا وبَهاء.

عبد المطلب :

- يا بُشْرَاي، هذا تأويل رؤياي !ولد كريم، له شأن عظيم، (للطفل) أما بُشراك أنت فَشَاةٌ بخروفها.

الطفل :

- جُزيت عما أعطيت، أمدَّ الله في عُمُرك، وأقَرَّ عَيْنَك بَوَلَدِك.

(ينصرف الطفل فرحا)

السادس :

- أنبئنا عن رؤياك أيها الشيخ.

الأول :

- ماذا رأيت؟ خيرا إن شاء الله.

عبد المطلب :

- رأيت البارحة فيما يرى النائم، كأنَّ سلسلة من فضة خرجت من ظهري، لها طرف في السماء وطرف في الأرض، وفرع منها في المشرق، وفرع في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق وأهل المغرب عالقون بها يُسَبِّحون ويحْمَدون.

السادس :

- ما أجلَّ هذه الرؤيا!.

الثاني :

- ما أعظم هذا النبأ!.

السابع :

- أقرَّ اللّه عينك بحفيدك.

عبد المطلب :

- هو عزائي وسلواي عن موت أبيه الشاب الوسيم، الذي عزَّ علينا فراقه.

الثامن :

- لقد أسفنا واللّه، لموت أبيه عبد اللّه.

السادس :

- كيف لا نأسف لفقده؟ وهو الذي لم ترض الآلهة عن فدائه بأقل من مائة ناقة.

(الجميع يحركون رؤوسهم تأمينا وموافقة)

الثاني :

- نعم لقد كان عبد اللّه خير مثال للفتى العربي الأصيل النبيل.

السابع :

- رحمه اللّه، رحم اللّه ريحانة قريش.

الثامن :

- وعوَّضنا عنه خيرا منه.

الجميع :

- آمين، آمين.

السادس :

- اختر لولدك أسما يناسبه.

عبد المطلب :

- شاركوني في الأمر.

السادس :

- أسميه كأبيه عبد الله ليخلفه.

الثالث :

- جدد به اسم هاشم أو قصيْ.

عبد المطلب :

- أريد أن يكون متبوعًا لا تابعا.

السابع :

- سميه عبد العُزَّى أو عبد منَاة.

عبد المطلب :

- أريد أن يكون حُرًا لا عبدًا.

الأول :

- ادعُه إبراهيم أو إسماعيل إذن.

عبد المطلب :

- سأختار له اسما لم يسبقني إليه أحد من البشر.

(يطرق مفكرا ثم يرفع رأسه قائلا)

- ليكن أحمد أومحمدًا.

السادس :

- أحمد ! نعم الاسم أحمد.

الثاني :

- محمد من الحمد ، فهو محمود.

السابع :

- محمد اسم لطيف خفيف ظريف.

الثامن :

- ما أحسن وقع هذا الاسم في السمع.

السادس :

- ولكنه اسم غير مألوف ولا معروف!.

الثاني :

- مادام خفيفا ظريفا ، فلا مانع من استعماله.

السابع :

- لماذا اخترت له من الأسماء ما لم يكن معروفا عند العرب؟

عبد المطلب :

- اخترت له ذلك ليكون أول من عرف به، ورجاء أن يحمده الناس من عرب وعجم كما رأيت ذلك في الحلم.
- سجِّل تاريخ ولادته.

عبد المطلب :

- إي، نعم، كم عندنا اليوم في ربيع الأول؟

الأول : والثاني :

- نحن في اليوم الثاني عشر منه.

السابع :

- وفي اليوم الثالث من أبريل في تاريخ النصارى.

عبد المطلب :(ملتفتا إلى أحدهم)

- أكتب يا أمية.

(يخرج هذا قلما وقرطاسا) .

عبد المطلب : (يملي عليه)

- وُلِد لعبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من زوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ولدٌ ذكر سميناه على بركة الله (محمدًا)، وكان وضعه بمكة المكرمة صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل. الموافق لليوم الثالث من أبريل سنة واحد وسبعين وخمسمئة (571) للميلاد ، في زمن الملك العادل كسرى أنوشروان ملك الفُرس.

(يتلوا الكاتب ما كتب ثم يطويه ويعطيه لعبد المطلب)

عبد المطلب : (وهو يتناول المكتوب)

- أحسنت وشكرا لك.

(ثم يقوم ويقوم القوم إجلالا له)

- سأذهب لأراه. عمتم صباحا.

الجماعة :

- وليد سعيد يا سيد العرب. وليد سعيد يا سيد العرب.

[ستار]

النشـيد

يـوم محمـد[1]

أنـت يـا يـــوم محمـــــد ❖❖ في جبيـن الدهـر تــاج

جئـت بالنـور الـمجـــدَّد ❖❖ فكَسا الكـون ابتهـاج

فابعـث النخـوة فيـــنــا ❖❖ لـــــرؤوس النـاشـئيــن

فهـي للأنـفس معــنــى ❖❖ يستــفـزُّ الغـافــليـــن

واملأ الدنيـا فخـــارا ❖❖ أيهـا النشء الجـديـد

واشد بالذكرى هزارا ❖❖ تطرب الحفل الرشيد

لك في المجـد سنـــاء ❖❖ دونــه هـــام القـــمـــر

سل تُخبِّرك سـمــــاء ❖❖ بـهـواد يـك الـغُــــرَر

خلـفُ أنــت فـــأدَّى ❖❖ واجبـات السـالـفيـــن

قُم على الإرث بجِـــدٍّ ❖❖ مع فريـــق العاملـيـــن

وطن جمٌّ المفـاخـــر ❖❖ وجديـر بـا هـتــمـــام

هو في الأرض (جزائر) وهو في القلب غرام.

---

[1]. النشيد لمحمد بن العابد الجلالي.

المشهد الثاني

الرَّضاع والمراضع

(جماعة من بني سعد في البادية- ذكورا وإناثا- يسمرون في دار أوخيمة أبي ذؤيب والد حليمة ضئر النبي(ص) ، بينهم بنت أبي ذؤيب حليمة وزوجها وأبوها)

أبو ذؤيب :

- ها نحن في عنفوان الربيع، ولما نشهد طلائع الخصب، ولما نستبن بوادر الفرج من هذا الجدب!... إنها - والله- لسنة شهباء جدباء، ما أظنها تُبقي على شيء !!...

زوج حليمة :

- حقا، ما أرى كهذا العام في شدة الجدب على حيِّنا.

حليمة :

- والله، ليمضي اليوم واليومان فما نجد ما نقتات به، ولقد أصبحنا نشاطر المواشي في مراعيها.

أبو ذؤيب : (للجماعة)

- في الحي مراضع كثيرة، وأشراف مكة - كما تعلمون- يلتمسون لرضعائهم في البادية من يرضعن لهم أطفالهم لينشأوا على شمائل البادية وطبائعها الحميدة وينطبعوا على فصاحة أهلها ، ومعلوم لديهم أن حي بني سعد أفصح الأحياء في العرب لسانا ، وأحسنهم خُلقا ، وأصفاهم سريرة، فهلا تأتي المراضع منكم مكة؟ يلتمسن الرُّضعاء ليصبن بعض الخير الذي ينعم به هؤلاء الأشراف من قريش، فينعشن هذا الحي مما يضيق به من ضنك العيش وجدب الزرع وجفاف الضرع؟.

أحد الجماعة : (من أقصى زاوية الخيمة أو الدار)

- واللاّت والعُزَّى، إن صاحبكم ليقول حقا ويريد خيرا. فأين المراضع من بني سعد؟.

حليمة : (لزوجها)

- لنمض إلى مكة مع من يمضي.

زوجها :

- إلى مكة؟! هكذا ببساطة؟!

حليمة :

- نعم!... نلتمس رضيعا من أبناء النعمة والترف من تجار مكة، لنستعين بخير أهله على هذا العام... أما سمعت ما قال أبي وأخو بني سعد؟.

حليمة : (تتابع كلامها)

- ألا رحمة بصبينا هذا الذي لا يدعنا ننام ليلنا كله من بكائه من الجوع! وما في ثديي ما يغنيه، وما في شاتنا الهزيلة ما يغذِّيه!.

الزوج :

- ولكن أنمضي إلى مكة على حمارتنا العجفاء ! ومع شاتنا التي لا تبضُّ بقطرة لبن نُهدِّيَّ بها الصبي إذا أنهكه الجوع واتعبه السَفر؟!.

حليمة :

- ولكنَّا يا صاحبي نرجو الغيث والخير الكثير، من وراء هذا المسير، ولعل الشاة تجد ما تقتات به في الطريق، فيدرُّ ضرعها ويجد الرضيع ما يُغنيه.

أبو ذؤيب : (للزوج)

- إنها لتقول حقا، وترجو فرجًا ومخْرَجًا لضائقتها.

الزوج : (مقتنعا)

- لا علينا... إذا كان الصباح نسأل عن النسوة المرضعات من أهل الحي، لنسير معهن إلى مكة، وعلى الله الاتكال.

[ستار]

النشيد[1]

مولد الرحمة

غنَّى بحسنك معبد ❖❖ وهفت لُحبِّك خرَّد

ومشى الخلود مردِّدًا ❖❖ إنَّ الخلود (محمد)

وشدا الوجود معرِّدًا ❖❖ إنَّ المَكارِمَ (أحمد)

سِرُّ الوجود (محمد) ❖❖ هل في الورى من يجحدُ؟

قل للوجود هو الوجود ❖❖ كما أراد الموجِدُ

قل للحياة هو الحياة ❖❖ هو الخلود السَرمَدُ

[1]- النشيد لمحمود جبر

المشهد الثالث

في مكة عبد المطلب والمرضع حليمة

(عبد المطلب في جانب من فناء الكعبة مطرقا مهموما يفكر في مصير حفيده الذي ماتت أمه ولم يقبل الرضاعة من النساء، يقبل عليه عقيل بن أبي وقاص، وهو كبير قريش ورئيسها إذ ذاك ومعه أحد أبنائه).

عقيل:

- عم صباحا يا سيد بني هاشم، مالي أراك مطرقا حزينا؟!.

عبد المطلب:

- إن ولدي محمدا من حين ماتت أمه في الشهر الرابع لولادته لايسكت من البكاء طلبا للحليب، عرضت عليه نساء من قريش وبني هاشم، فلم يقبل ثدي واحدة منهن وأنا محتار لا أهنأ بطعام ولا منام، وهو دائم البكاء، وكنا نطعمه عسلا وزبدا طريا ولبنا حيوانيا، ومع ذلك فما يزال يبكي! ومعلوم أن اللّبن الآدمي أولى بالرضيع.

عقيل:

- يا أبا الحارث إني لأعرف امرأة عاقلة ذات رضاع، أبوها وأهلها من معارفي، جاءوا إلى مكة لبعض شؤونهم: فإن رأيت أن أكلمه

فيها فيأت بها لعل ابنكم يقبل ثديها؟!

عبد المطلب :

- سبق وقلت لك إنه لم يقبل واحدة من نساء الحسب والنسب ! من أي القبائل صاحبك وما اسمه؟

عقيل :

- هو عدناني من بادية بني سعد على بعد ثمانية عشر ميلا من مكة في طريق جدة، يدعى أبا ذؤيب عبد الله بن الحارث نجرب لعل الصبي يقبل ابنته فيرضعها.

عبد المطلب :

- نجرب ولا نيأس، لعل وعسى! فقد انقطعت حيلي واستولى عليَّ الهمُّ والغمُّ كما ترى!

عقيل : (لولده)

- اذهب يا بني إلى أبي ذؤيب واطلبه لنا.

عبد المطلب :

- حدثني عن هذه المرأة المرضع.

عقيل :

- هي أرفع حسبا ونسبا في قومها، وهي أفصح لسانا وأطهر ذيلا وأصبح وجها وأكثر لبنا، فهي أكمل امرأة فيما أعلم تدعى حليمة السعدية.

عبد المطلب : (مبتسما متفائلا بعد يأس)

- حليمة السعدية؟ بخ! بخ!

- مرحى فألان جميلان (حلم وسعد) وصنْفان فيهما غنى الدهر اللّهم حقق أملي في هذه السيدة.

(يقبل عليهم أفراد منهم عتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وآخرون يسلمون ، ويجلسون يتحدثون ، ثم يأتي ابن أبي ذؤيب مع الرسول الذي ناداه ليسلم ويجلس ، ويسأله عبد المطلب) .

عبد المطلب :

- يا أبا ذؤيب أتدري لماذا طلبتك؟

أبو ذؤيب :

- يا سيدي وسيد بني هاشم حتى تقول فأسمع وأجيبك لما تريد.

عبد المطلب :

- اعلم يا ابن أبي ذؤيب أن لي ابنا من ولدي عبد اللّه الذي توفي والطفل في رحم أمه، ثم توفيت أمه بعد ولادته بأربعة أشهر[1]، فبقي الولد يتيم الأبوين، وكفلته أنا جدُّهُ، وأنا أحنو عليه أكثر فأكثر، فهو أعز عندي من جميع أهلي، أحضرت له المراضع من أشراف مكة

---

[1]. في بعض الروايات ان امه ماتت وفي عمره بضع سنوات لا بضعة اشهر.

وأجلاء بني هاشم، فلم يقبل من واحدة منهن رضاعا، وهو لا يسكت من البكاء وسمعنا أن لك بنتا ذات رضاع، فإن رأيت أن تبعثها إلى المنزل لترضع محمدًا؟ فإن قَبِل ثديها فعليَّ غناك وغنى أهلك.

أبو ذؤيب: (وهو فرح مسرور)

- يا أبا الحارث يا سيد بني هاشم إن لي بنتين. مرضعتين فأيتهما تريد؟.

عبد المطلب:

- أريد أكملهما عقلا وأصونهما عرضا، وأكثرهما لبنا.

أبو ذؤيب:

- هاتيك هي حليمة فإنها أفضل بناتي، فهي أكملهن عقلا، وأتمّهُنَّ فهما، وأفصح بيانا، وأصدق لهجة، وأرحم قلبا، وأكثر لبنا.

عبد المطلب:

- ورب السماء لا أريد سوى ذلك.

أبو ذؤيب:

- سمعا وطاعة سأعرض عليها وعلى زوجها وسيأتيانك بعد حين.

[ستار]

المشهد الرابع

في منزل عبد المطلب

(في منزل عبد المطلب ، تحضر حليمة وزوجها ، وتذهب لترضع الصبي وتعود فارحة جذلة)

حليمة : (مستبشرة)

- ما إن رآني حتى هشَّ وبشَّ ولما أعطيته ثديي تناوله ورضع بشوق ورغبة حتى روي.

عبد المطلب :

- حمدًا لك يارب، زال المشكل إن شاء الله، كم أنا مسرور، بهذا الحبور، ولك عليَّ يا حليمة أن أكرمك بكل الإكرام والإنعام، وأن تبقي هنا في مكة أنت وزوجك وأهلك، وأعطيك كل ما تحتاجين من غذاء وكساء، وأمنحك ثيابا رومية فاخرة، وألف درهم كل شهر.

(يشير لها زوجها بالامتناع)

- وألحُّ عليك بالإقامة في مكة ليبقى محمد قريبا منا ، فنحن لانكاد نصبر على فراقه.

حليمـة :

- شـكـرا لك يا سيدي

(ويشير لهـا زوجهـا بـلا)

- ولـكـن لا يمـكـن أن أترك الحي الذي نشـأت فيـه وألفتـه، وأتـرك الأهل والعشيرة هناك، وأقيم هنا! كـلا يا سيدي، ومعذرة ولـو أعطيتني مـال الدنيا!

عبد المطلب : (آسفا وقد يئس من إقامتها بمكة قال يرجوها) :

- إن علاقتي الحميمة بهذا الوليد تجعلني لا أطيق صبرا عليه، فهل لك يا حليمة أن تقبلي منى شرطا- إن أنا سلمت لك الولد- تأتينا به كـل يـوم جمعـة ليتمتـع برؤيتـه جـدّه وأقاربـه الـذين لا يطيقـون فراقـه؟ والمسافة بين مـكـة وبين حيكم ليست شاسعة.

(يشيـران لـه بنعم)

- وأوصيكم وأؤكـد عليكم بالمحافظـة عليـه مـن الحـر والقـرّ، وأن تـرعوه حق الرعاية.

حليمـة :

- حبا وكـرامة يا سيدي، لـكم منا كـل ذلك، وأزيدكم يا سيدي

أنّني أحسُّ بانجِذاب شديد إليه أكثر من ولدي، من لحظة ما رأيته وأرضعته، فاطمئنوا عليه كلّ الاطمئنان، فهو في عيني.

عبد المطلب :

- سأجهزكم قبل الرحيل وتسليم الولدلكم بأطيب زاد، وسأعطيكم أربعة آلاف درهم مسبقة لتصلحوا بها شؤونكم، وقطيعا صغيرا من الغنم، وأربعين ثوبا من الثياب الفاخرة، وأزودكم بأحسن مما كنتم ترجون وتتمنون.

حليمة :

- حسبنا يا سيدي من الزاد هذا المولود الودود، إنه لأحب إلينا من الذهب والفضة، ومن جميع الأطعمة والألبسة!

زوجها :

- نعم حسبنا هذا الوليد السعيد يا سيدنا ومولانا!

عبد المطلب :

- سأعطي التعليمات بتجهيزكم وإعداد زادكم، وإلى ذلك الحين أودعكم والسلام عليكم.

[ستار]

المشهد الخامس

في حي بني سعد بالبادية

(في حي بني سعد في البادية حليمة وأهلها يتذاكرون في هذا الصبي)

أبو ذؤيب :

- أكاد أقضى عجبا لأمر هذا اليتيم.

زوج حليمة :

- بلى والله!... إن أمره لعجيب! انظروا إلى صبينا (ضمْرَة) كيف تنظّر وجهه إذ شبع لبنا وارتوى حليبا ، ما رأينا هذا من قبل!

حليمة :

- لقد يعجبكم أن أقُصَّ عليكم شأنه إذ دخلوا بي عليه ، وهو نائم في مهده ملفوف في ثوب أبيض من الصوف تفوح منه روائح المسك والعنبر، فما إن لمحت وجهه حتى وقع حبُّه في قلبي ، وأحسستُ بسرور عظيم يغمرني ، فتناولته ووضعته في حجري ، وفتح عينيه لينظر إليّ ، فسطع منهما نور كنور البرق يخرج من خلال السحاب ، فألقمتُه ثديي الأيمن فرضع مدة ثم حولته إلى الأيسر فلم يقبله ، وجعل يميل

إلى الأيمن، وشعرت بلبن غزير في صدري.

أبو ذؤيب :

- أيكون أدرك أن له شريكا؟! فاستبقى لشريكه الثدي الأيسر؟!.

حليمة :

- ثم إن الثدي الأيسر يدرُّ لأخيه كما يدرُّ له هو الأيمن سواءً بسواء!! إنه - والله- للبركة كل البركة! وقد قال لي جده إنه مبارك ميمون صدق- والله- إنه لكذلك.

(وتلتفت حليمة لزوجها قائلة)

- ألا تقوم إلى شاتنا لعل بها لبنا تحلبه لنا نستعين به على حرِّ القيْظ، ونطفِئ به عطشنا؟.

(يخرج الزوج للشاة وحليمة تهدهد الصبي في حجرها لينام) .

أبو ذؤيب :

- أتعلمين يا ابنتي! لقد أخذتنا نسمة مباركة من هذا اليتيم! لقد فضلنا الله بهذا المولود على سائر الناس.

حليمة :

- سعدنا به – والله - يا أبى، الأن أفضله على أولادي، وأخصه بالعناية والرعاية دونهم، وربِّ السماء إنه عندي لأعز من ولدي (ضُمُرْة)! فهو قرة عيني اليوم! تُرى هل أعيش حتى أراه كبيرا كما رأيته صغيرا؟!

الزوج : (يعود حاملا إناء الحليب)

- قُمتُ إلى شاتنا الهزيلة فإذا بها حافلة باللبن!وقد ملأت هذا الوعاء منها، بعد أن شربتُ حتى ارتويت هاكم اشربوا إنها - والله- البركة!

أبو ذؤيب :

- الحمد لله لقد رأينا في حسن طالعه الخير والخصب، بعد القحط والجدب، فاللهم لك الحمد والشكر.

الزوج :

- حمدًا لك يارب، كم أنت كريم!...

[ستار]

المشهد السادس

أهل الحي مع حليمة

(جماعة من حي بني سعد ونساء يتذاكرون مع حليمة)

- هل عرفتم شأن حليمة بنت أبي ذؤيب مع رضيعها؟.
- نتحدث الآن في شأنها وشأن رضيعها، هات خبِّرنا؟.
- إنه لشأن عجيب! إني ورب السماء، ما أزال أشم رائحة طيبة تعطر الحي من يوم جاءت حليمة بهذا الرضيع القرشي اليتيم!
- ليس هذا بذي بال، انظروا الجدب الذي يحيق بالحي، حتى ما نجد أرضا أجدب منه، نرى غنمنا تروح جياعا، فما يحلب أحد قطرة حليب منها، على حين نجد غنم حليمة ترجع شباعا ملآى لبنا، عجيب والله!
- والأغرب أنا نقول لرعاتنا، اذهبوا واسرحوا حيث يسرح راعي حليمة فيفعلون، وترجع أغنامنا جياعا ما تدرُّ بقطرة لبن، وتعود أغنامها كما ذكرت ووصفت!
- إن لهذا اليتيم لبركة أي بركة، وإني لأجد في قلبي حبًا له واعتقادًا بشأنه.

- نعم هذه بركة اليتيم كلنا نجد حبه في قلوبنا ونعطف عليه.

(بينماهم كذلك يتذاكرون ، وإذ تدخل عليهم حليمة فتشاركهم)

حليمة :

- عموا مساء أهل الحي.
- أهلا يا أطهر نسائنا وأعفَّ قومنا ، حدِّثينا عن رضيعك اليتيم؟
- متى تعودين به إلى أهله؟.

حليمة : (مبتسمة)

- ماذا أقول لكم؟ لقد عرفتم سيرته وما يخفى عليكم من أمره إلا القليل، لقد أشرف على نهاية عامه الثاني، إذ يتم فِصاله وأعود به إلى أهله في مكة.

- لم ينته عامه الثاني بعد؟! عجبا إنه شبَّ شبابا لا يشبهُ الغلمان!.

حليمة :

- لا يُشبه الغلمان في شيء، يصبح الصبيان غمصا رمضا ، ويصبح هو صقيلا دهينا نظيفا ، ولم أسمعه باكيا أبدا ، ولم أره ساء خُلُقُه أبدا ، وما تناول شيئا بيساره قط، ولما بلغ النطق لم يمسس شيئا بيمينه إلا قال باسم الله ، وإني لفي ليالي الصيف إذ انتبهت فسمعته يقول: قُدُّوس، قُدُّوس! نام القوم، والله لا تأخذه سنة ولا نوم! فظننتُه يحلم فتفَقَّدتُه، فإذا هو يقظ ساهر، ينظر إلى السماء في جذل وسرور!

أفيُشبه هذا الطفل الغلمان في شيء! إنَّ أمره لعجيب!.

- إني لأرى في ملامحه مالا أراه في وجه أحد.
- لعله سيكون ملكًا كريما، أو زعيما عظيما.
- ما ذلك على الله بعزيز.
- لئن كان كذلك، فسيصيبنا خيره ويشملنا عطفه.
- إي نعم، واللاّت والعُزَّة سيذكر هذا الحي الذي نشأ فيه وتربّى، وسيغمُرنا بِرُّه وإحسانه.

[ستار]

النشيد[1]

حيُّوا ربيب العُلا

حيُّو ربــيـب العُلـى ❖ والـكـوكـب المُجتلى

هادي الهداة الأولى ❖ صـاغـوا المعالي حلـى

سنـاه عــمَّ الأنـام ❖ وبــثَّ فيـه الـسَّلام

وصَّد عنـه الظَّلام ❖ والظُّلم عنه انجلـى

رضيع سعد السعود ❖ رضيـع حلــم وجــود

قد شام منه الوجود ❖ ر بيعه الـمقـبــلا

بــدت بــه البادية ❖ كـا لـدُّرَّة الـغـاليـه

و الرَّوضة الحاليه ❖ أحيا شذاها الفـلا

السّــيِّــدَ الأرفعـا ❖ والأيـد الأروعــــا

والـمعقِلَ الأمـنعَـا ❖ أكــرمِ بِـهِ معقِـلا

[1]- النشيد لعبد الله عفيفي

الفصـل الثالث

في اليمن

المشهد الأول

وفود التهاني لملك اليمن سيف بن ذي يزن

(سيف بن ذي يزن ملك اليمن في قصره (غمدان) ، تحيط به وزراؤه وامراؤه وأعيان رعاياه ، يتلقى الوفود المهنئة له بانتصاره على أعدائه الأحباش ، يرفع الستار عن الشاعر الكاهن أمية بن أبي الصلت) .

أمية بن أبي الصَّلت :

لا يطلب الثأر إلاَّ كابن ذي يــزن

في البحر خيَّم للأعــداء أحــوالا

أتى هرقْلا وقــد شالت نعامــتـه

فلم يجد عنده النصر الذي خــالا

ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة

من السنين يهين النفس والمــالا

حتى أتى ببني الأحرار يقدُمُهــم

تخالهم فوق متــن الأرض أجبــالا

للّه درُّهــم مــن فتيــة صــبــروا

ما إن رأيتُ لهم في الناس أمثـالا

بيـــض مرازِبــةُ غلْــب أســـاورة

أسْدُ تُـرَوِّضُ في الغابات أشـبــالا

فالقَط من المِسك إذ شالت نعامتهـم

وأسبِل اليوم من بُرديــك إسبــالا

واشرب هنيئا عليك التاج مرتفعــا

في رأس(غُمْدانَ) دارًا منك مِحْـلالا

الملك سيف :

- بمثل هذا تُّمدح الملوك يا ابن أبي الصَّلتْ، لا فُضَّ فُوك ولا بَرَّ من يجفوك، اخلع عليه يا غلام ما يشاء من البرود اليمنية، ومن المسك والطيب الهندي ما تطيب به نفسه وأعطه جارية وغلاما لخدمته، وفرسا لركوبه.

(ينصرف الشاعر يتقدمه الغلام إلى حيث يأخذ هداياه)

الحاجب :

- وفد القرشيين يامولاي بالباب.

الملك :

- أدخلهم.

(يدخل وفد من نحو عشرة أشخاص من سادة قريش منهم ، عقبة بن ربيعة ، والوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، على رأسهم عبد المطلب بن هاشم ، وهم يهتفون) .

الوفد القرشي :

- عاش الملك، عاش الملك.

عبد المطلب : (يتقدم خطوات نحو الملك)

- هل يأذن لي مولاي بالكلام؟

الملك :

- إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك، تكلم فقد أذنًا لك.

عبد المطلب :

- إن اللّه أحلّك أيها الملك الهُمام محلاً رفيعا ، صعبا منيعا ، شامخا باذخا ، ثبَت أصله وبسق فرعُه، في أكرم موطن، وأطيب معدن، فأنت- أبيت اللّعن- ملك العرب، وربيعها الذي به تخصب، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي إليه تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد ، سلفُك لنا خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، ولن يخمل ذكر من أنت سلفُه، ولن يهلك من أنت خلَفُه، ونحن- أيها الملك الهمام- أهل حرم اللّه، وسدنةُ بيته الحرام، أشخصنا إليك الذي أبهجنا ، لكشف الكرب الذي فدحنا ، جئنا إليك لنُهنِّئَك بولايتك، وبالنصر

الـذي أمـدَّك اللّه بـه، أطـال اللّه سـوابغَ نعمـه عليـك، وعلـى رعيتـك، وهنَّأكم بما منَحَكم، ولا خيَّب اللّه دعاءنا فيكم، والسلام عليكم.

الملك:

- ومن أنت أيها المتكلم باسمهم؟

عبد المطلب:

- أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي.

الملك:

- ابن أختنا؟!

عبد المطلب:

- نعم ابن أختكم.

الملك:

- أدْنُ مني إذن.

(يدنو منه عبد المطلب ويحييه بتحية الملوك ويصافحه)

الملك:

- مرحبا وأهلا، وناقة ورحلا، ومستناخا سهلا، وملكا ربحلا، يعطي عطاء جزلا، قد سمعنا مقالتكم، وعرفنا قرابتكم. وقبلنا وسيلتكم، فأنتم أهل الشرف والنَّباهة، لكم الكرامة ما أقمْتُم، والعطاء إذا رحلتُم.

الملك : (وهو يشير إلى القرشيين الذين جاءوا مع عبد المطلب)

- سيروا أنتم إلى دار الضيافة والوفود ، وانتظر أنت يا عبد المطلب.

(يخرج الوفد القرشي صحبة الحارس)

الحاجب : (مستأذنا)

- وفدُ تِهامة يا مولاي.

الملك :

- ليدخل.

(يخرج الحاجب ، ويعود ومعه وفد من نحو عشرة يتقدمهم شاب حدث يطلب الإذن له بالكلام) .

الملك :

- إرجع أنت يا بني، وليتقدم غيرك ممن هو أكبر منك سنا ، فهذا مقام الرجال الكبار المُحنَّكين.

الغلام :

- أصلح الله مولانا الملك، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، قال الشاعر الحكيم:

لسان الفتى نصف فؤاده

فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

- فإذا منح الله المرء لسانا لافظا، وقلبا حافظا، فقد استحق الكلام، ولو أنَّ التقدم يا مولاي بالسِّنِّ، لكان في الناس من هو أسنُّ وأحق منك بهذا المقام.

الملك: (متعجبا!!)

- صدقت يا بُنيَّ، المرء بأصغريه، قلبِهِ ولسانه، (وينشد):

تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإنَّ كبير القوم لا علم عنده
صغير إذا التفَّت عليه المحافل

وحسبي منك يا بُنَيَّ هذا الدرس البليغ آخذه منك عبرة وذكرى، بارك الله فيك.

الغلام:

- وحسبي أنا فخارا هذه الشهادة الملكية الجليلة، آخذها منك كالعلق النفيس أعلقه في القلب.

الملك: (وهو يشير إلى الخازن)

- اخلع عليه حلة تناسبه وعلى كل من جاء معه كذلك، وأنفق عليه ألف دينار من الذهب وألفي درهم من الفضة، وعلى وفده مثل ذلك.

[ستار]

المشهد الثاني

الملك وعبد المطلب

(الملك سيف في مجلس خاص مع عبد المطلب يفضي إليه ببعض أسراره وأخباره، وعبد المطلب مصغ إليه ومتجاوب معه)

الملك:

- يا عبد المطلب إني مفض إليك من سِرِّي ومن علمي، مالو كان غيرك لم أبح به، ولكني رأيتك للسر معدنه ومخزنه، ولذلك فإني مطلعك عليه، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره.

عبد المطلب:

- أيها الملك المعظم، أنا عند حسن ظن مولاي، وسيرى أطال الله عمره، كيف أن صدري قبر الأسرار والأخبار.

الملك:

- يا عبد المطلب إني أجد في الكتاب المكنون والسر المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا، وأخبرناه دون غيرنا، خبرًا عظيما، وخطرا جسيما، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك أنت خاصة...

عبد المطلب:

- مثلك أيها الملك الأبر، من سرَّ وبرَّ، فماهو هذا الخبر، فِداك أهل الوبر والحضر، زُمرًا بعد زمر؟.

الملك:

- يا أبا الحارث يا عبد المطلب إذا ولد في تهامة، غلام حسن الوجه جميل القامة، بين كتفيه شامة، هو المبعوث من تهامة، وصاحب الشفاعة يوم القيامة، كانت له الإمامة، ولكم أنتم من بعده الزعامة، وإني وجدت صفته في كتب بني إسرائيل علامة.

عبد المطلب:

- أبيت اللّعن أيها الملك، لقد أبتُ بخبر ما آب بمثله وافد ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته، عن كشف أسراره ما أزداد به سرورًا.

الملك:

- نبيٌّ هذا حينه الذي يولد فيه، أو إنه قد ولد فعلا، اسمه محمد يموت أبوه وأمه، ويكفله جدّه وعمُّه، واللّه باعثه جهارا، وجاعل له أنصارًا، يعزُّ بهم أولياءه، ويُذل بهم أعداءه يكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، قوله فصل وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله. وينهى عن المنكر ويُبْطِله.

عبد المطلب :

- أيها الملك الجليل عزَّ جدُّك، وعلا كعبُك، وطاب مُلكُك، وطال عمرُك، فهل الملك مخبِرى بإفصاح فقد أوضح بعض الإيضاح.

الملك :

- والبيت ذي الحُجُب، والعلامات والنَّصب، إنك يا عبد المطلب لجَدُّه غير الكذب.

(يخرُّ عبد المطلب ساجدا شاكرا)

- ارفع رأسك ثلج صدرك، وعلا أمرك، فهل أحسست شيئا مما ذكرته لك؟.

عبد المطلب :

- نعم أيها الملك المؤيد بالله، كان لي ابن هو عبد الله، كنت به معجبا، وعليه شفيقا، وبه رؤوفا رفيقا، زوَّجتُه كريمة من كرام قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فجاءت بغلام سميَّتُه محمدًا : مات أبوه وأمه، وكفَلْتَه أنا وعمه، بين كتِفَيه شامة، وفيه كل ما ذكر الملك من علامة.

الملك :

- إنَّ الذي قلت لك لكما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، واطو ما ذكرت

لك حتى على الذين جاءوا معك، فإني لا آمن أن تدخُلهم النفاسة، من أن تكون لهم الرئاسة، فيطلبون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، وهم فاعلون لو نبَّأتهم، ولولا أني أعلم أن الموت يجتاحُني قبل مبعثه لسرتُ إليه بخيلي ورجلي، حتى أصير بيثرب دار ملكه، فأكون له أخا ووزيرا، وصاحبا وظهيرا، فإني أجد في الكتاب المكنون أن في يثرب استحكام أمره، وأهل نصره واستحكام أمره، وارتفاع ذكره، وموضع قبره، ولولا أني أتوقى عليه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثة سنه أمره وأظهرته، ولكني صارف ذلك إليك من غير تقصير بك.

عبد المطلب:

- للّه درُّ مولاي.

الملك:

- عليك بكتمان ما ألقيته عليك، ولا تظهره إلى أن يظهره اللّه تعالى.

عبد المطلب:

- السمع والطاعة لمولاي الملك.

الملك:

- اعلم ياعبد المطلب أني آمر لكل رجل من أصحابك الذين وفدوا معك، ببدرة من الدراهم، وجارية وغلام وثياب، وآمرلك أنت بعشرة

عبيد وعشر إماء، وحلتين من البرود اليمنية، ومائة من الإبل، وخمسة أرطال ذهبا، وعشرة أرطال فضة، وبأنواع من المسك والطيب والعنبر، جزاء ما حقّقت لي من هذا الخبر، وإذا حال الحول فأتني بأمره، وكل ما يكون من خبره.

عبد المطلب: (يهم بالوقوف والانصراف)

- أجزل الله عطاء مولاي وأكثر من خيره، حتى يرى تحقيق خبره.

الملك:

- وأسلّم إليك أمانة في عنقك تحفظها إلى أن تُسلمها إلى حفيدك محمد إذا بلغ مبلغ الرجال فاحتفظ بها واجعلها تذكرة، وهي تتكون من فرسي (العقاب) وبغلتي (الشهباء) وناقتي (العضباء) وكلها أثيرة عندي عزيزة لديَّ.

عبد المطلب:

- السمع والطاعة والامتثال لأمر جلالة الملك سيف

(يودعه وينصرف)

[ستار]

المشهد الثالث

القرشيون في دار الضيافة يتساءلون

(وفد القرشيين في جانب من دار الضيافة بقصر غُمدان في صنعاء يتذاكرون ، يدخل عليهم عبد المطلب الذي طال مكثُهُ مع الملك حتى خافوا عليه)

عتبة بن ربيعة :

- لقد حفَّ بنا غلمان الملك وخُدامه، واحتفلوا بنا أحسن احتفال في دار الضيافة، وبالغوا في خدمتنا وإكرامنا وإعزازنا.

أمية بن خلف :

- وكان من العناية بنا والرعاية لنا ، أن يعطي لنا كل يوم ألف درهم أبيض، ما أقمنا في دار الضيافة.

الوليد بن المغيرة :

- لقد أبطأ عنا رئيسنا ، هل ما يزال مع الملك كل هذا الوقت؟! أم ذهب لبعض شأنه؟

عتبة بن ربيعة :

- لقد طال مكثه مع الملك! ترى لماذا هذا الطول؟ ولماذا انفراد الملك به دوننا؟!

عقبة بن أبي معيط :

- ليس المُهِمُّ انفراد الملك به دوننا! ولكن المهم مصير عبد المطلب!.

الوليد :

- ماذا تعني؟! هل تخاف عليه من الملك؟.

عتبة بن ربيعة :

- أخشى أن يكون في هذا الطول سوء تفاهم بينهما ، وما قد ينجم عن ذلك!.

أمية بن خلف :

- لا تذهب بكم الظُّنون إلى هذا الحد ، فكلا الرجلين لبق وكيِّس وأريب، لا يصدر عنه ما يريب صاحبه.

(بينما هم في حيرة وخوف على رئيسهم ، إذ يدخل عليهم عبد المطلب فيستقبلوه بحرارة ولهفة متسائلين) .

الوليد :

- طال انتظارنا لك حتى ساورتنا الشكوك والأوهام.

عبد المطلب :

- لا ترتابوا فالملك حفيٌّ بنا مقدَّر لنا حفيظ علينا.

عقبة بن ربيعة :

- تُرى فيم كان هذا التأخير؟ وهذه الدعوة الخاصة؟!.

(عبد المطلب وهو لا يريد إخبارهم بحقيقة ما كان بينه وبين الملك بل قال لهم)

عبد المطلب :

- طال الحديث لأنه كان يسأل راغبا مستطلعا مستفسرا عن رسوم مكة وآثارها وحجاجها ، عن حادثة الفيل وأبرهة وجيشه ومصيرهم، وعن مكانة الكعبة عند العرب بعد عام الفيل ثم عن الأسواق الأدبية والتجارية، ومشاهير الخطباء، والشعراء والتجار، وكنت أخبره عن كل ذلك بشروح مفصلة كان معجبا بها ومستزيدا لها.

عقبة بن أبي معيط :

- ترى ما سر هذا الاهتمام الزائد بنا وببلدنا؟!

عبد المطلب :

- قد تكون واقعة أصحاب الفيل، والطير الأبابيل، التي جعلت كيدهم في تضليل، فعادوا خائبين خاسرين، لذلك عظم شأن مكة وعلا قدرُها وقدر أهلها عند الناس جميعا ، ولذلك فهو راض عنا كل الرضا ، وأفيدكم أنه أمر لكل واحد منكم ببدرة من الدراهم البيض، وبجارية وغلام وثياب يمانية ، وأمرلي بصفتي رئيس قريش وسادن البيت العتيق- بعشرة عبيد وعشر إماء وحلّتين من البرود ،

ومائة من الإبل، وخمسة أرطال ذهبا ، وعشرة أرطال فضة ، وأنواع من المسك والطيب والعنبر، لأستعين بها على خدمة حجَّاج بيت اللّٰه وضُيُوفه.

أمية بن عبد شمس :

جلبنا الضّحَّ تحمله المطايا ❖ على أكوار أجمال ونوق

مغلغلة مرافقها تعالى ❖ إلى صنعاء من فجٍّ عميق

تؤمُّ بناذى يزن وتهدى ❖ ذوات بطونها أمَّ الطريق

فلما وافقت صنعاء صارت ❖ بدار الملك والحسب العريق

إلى ملك يدرُّ لنا العطايا ❖ بحُسن بشاشة الوجه الطليق

[ستار]

نشيد الختام

النشيد الإسلامي[1]

دعا الحقُّ فامضوا وشُقُّوا الزِّحام

وسيروا إلى المجد سير الكرام

دُعاة السلام حُماة الصِّدام

ألستم كتائب خير الأنام

نَبِيُّكم أنقذ العالمين

ودينكم للهدي خير دين

وشرعكم الحقُّ سمحٌ مبين

وقبلتكم للبرايا عصام

لواؤكم ظلّل الخافقين

وأسلافُكم أيقظوا المشرقين

إذا ما غدوا بيَّنوا الخطتين

فسَنُّوا الكتاب وسلوًّا الحسام

هم محقوا الظُّلم والظالمين

وهم سحقوا الإثم والآثمين

وهم بسطوا ظلَّ عدلٍ أمين

وهم عقدوا للبرايا الذّمام

[1] - النشيد لعبد الله عفيفي.

وهم شرعوا للمعالي الكمـــال

وهم نشروا العلم سهل المنـــال

وهم أدركوا غـــاية لا تنـــال

وهم بلغوا غـــاية لا تـــرام

إلى المجد فامضوا ولا تحجِموا

ألا إنَّما يُقدم المسلم

تناديكم في الثَّرى الأعظم

ردوا الموت أوأقدموا للأمـــام

المحتوى

الفصل الثالث

في اليمن

المؤلف

تعريفه

عضو اتحاد الكتاب الجزائريين، والمجلس الإسلامي الأعلى، والمجلس الوطني للثقافة.

وهو كاتب وشاعر، وباحث اجتماعي، ودارس إسلامي، وناقد أدبي، له مقالات منوعة وبحوث ودراسات في الصحف والمجلات الوطنية، ويشارك بمحاضرات في الملتقيات الفكرية والثقافية داخل الوطن وخارجه، وخاصة في المراكز الثقافية ودور الثقافة بمختلف الولايات.

من مؤلفاته:

المطبوعة:

في الأدب (النصوص الأدبية) أربعة أجزاء - طبع دار النهضة والشركة الجزائرية- .

في الشعر (ألحان الفتوة) طبع عدة مرات في مصر ولبنان والجزائر.

في المسرح (الناشئة المهاجرة طبعتان) الأولى في تلمسان والثانية في ش.و.ن.ت.

في الرواية (الخنساء) طبع المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر.

في القصة (مغامرات كليب) طبع المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر

في الدراسة (شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو) منشورات وزارة الثقافة بالجزائر

في العلوم (جغرافية الجزائر والعالم العربي) طبعتان مكتبة النهضة بالجزائر

في تحقيق التراث: (العقائد الإسلامية) لابن باديس شرح وتعليق تلميذه محمد الصالح رمضان

(تفسير بن باديس) تحقيق وتعليق مع شاهين، عدة طبعات في مصر ولبنان.

(من هدي النبوة) له تحقيق وتعليق رمضان وشاهين الناشر الشركة الجزائرية مرازقة وأبو داود.

(رجــال الــسلف ونــساؤه) لابــن بــاديس أيــضا تحقيــق وتعليــق رمــضان وشاهين، الناشر الشركة الجزائرية مرازقة أبو داود.

في أدب الرحلة (سوانح وارتسمات عابر سبيل) شعر ونثر.

المخطوطة:

في النقد (من غربل الناس نخلوه) نظرات في كتاب (حياة كفاح).

في اللغة (من الفصيح الدارج في عاميتنا) مشروع معجم لغوي.